الباب الخامس

أزمة الهوية الاسلامية

obeikandl.com

obeikandl.com

مفهوم الهوية الثقافية

الهوية هي وعي الناس بأنفسهم وبما يميزهم عن الآخرين وشعور الشخص بالانتماء إلى جماعة أو إطار إنساني أكبر يشاركه في منظومة من القيم والمشاعر والاتجاهات والمكونات الأساسية والسمات المشتركة التي تحدد مفهوم الهوية تتمثل فيما يلي:

١ـ المشابهة والمماثلة في كل شيء.

٢ـ انعكاس فلسفي حول طبيعة التغيير، فالهوية كمعنى للثبات يهدف إلى التغيير أو كوحدة تهدف إلى التنوع.

٣ـ البحث عن كينونة الإنسان باعتبار هويته متفردة متميزة عن هويات الآخرين.

٤ـ الإنسان لا يعي ذاته إلا بعد أن يعي أن العالم الخارجي منفصل عنه ومختلف عنه.

٥ـ الاحساس بماضينا ومستقبلنا والإحساس بالفردية و.

٦ ـ وعي الناس بأنفسهم وبالآخرين.

وإذا كانت الهوية تعني شعور الشخص بالانتماء لجماعة أو لإطار انساني أكبر يشاركه في منظومة من القيم والمشاعر والاتجاهات فهي

obeikandi.com

بذلك ترتبط بالثقافة السائدة لعملية التنشئة الاجتماعية والهوية الثقافية مفهوم اجتماعي يشير إلى كيفية إدراك شعب لذاته وكيفية تميزه عن الآخرين وهي تستند إلى مسلمات ثقافية عامة مرتبطة تاريخياً بقيمة اجتماعية وسياسية واقتصادية للمجتمع ٠

وعن أبعاها فللهوية الثقافية أبعاد منها:

- الثوابت الجغرافية من أرض ووطن وكيان مادي ٠

- التأكيد الثقافي للذات من خلال التمسك باللغة والتراث ٠

- التراث الروحي وشعور الفرد أنه جزء من هذا المكون الروحي ٠

- الانتماء للثقافة يعني شعور الفرد بالوجود ضمن إطارها والاتحاد معها ٠

- إحساس داخلي للفرد بالمشاركة والاندماج مع ثقافة معينة والمشاركة بما يملكه ٠

- التماسك الاجتماعي والتمسك بالقيم والمعايير والأعراف الحضارية ومقاومة التأثير الخارجي ورفض القيم والأعراف المنقولة من مجتمعات أخرى ٠

obeikandi.com

- التطور الإبداعي للأفراد مع الاحتفاظ بالمكونات الثقافية الخاصة بالجماعة التي تكونت بفعل التاريخ واللغة والقيم السيكلوجية المشتركة وطموحات الغد.

غياب الهوية الثقافية لدى الشباب

تظهر للمتأمل صراحة آثار غياب الهوية الثقافية على حال البلاد الاسلامية العربية التي تمتلك مخزوناً ثقافياً إسلامياً جعل منها إمبراطورية عالمية إبان تخلف الغرب في العصور الوسطى حيث امتلكت الإمبراطورية الإسلامية القوة السياسية والاقتصادية والعلمية والثقافية وكانت مصدر النور الحضاري للعالم أجمع في ذلك الزمان ، وما كان ذلك إلا من اعتزاز المسلم بهويته وشعوره بأنه الأفضل والأجمل لأنه يحمل راية العلم ويتحكم فى الاقتصاد ويمتلك من القوة ما لم تستطع دول العالم المفتوح مقاومته ،فانتشرت الثقافة الإسلامية في بلدان العالم لقرون عدة كان فيها المسلم يشعر بالتفوق ويتمنى الغربي لو ينتمي لهذه الأمة القوية ذات القيم و المبادئ الشاملة الخالدة الفاضلة.

حيث نجد في الفترة الأخيرة من القرن العشرين الكثير من شباب الأمة العربية والاسلامية قد تحللوا من هويتهم الثقافية وتخلوا عن عاداتهم وتقاليدهم التي هي أصل ومنبع الإسلام والعروبة واتجهوا يلهثون وراء تقليد الغرب فى أشياء غير مفيدة وعادات وتقاليد مختلفة وبعيده كل

البعد عن أخلاقنا وعاداتنا لنجد الشباب العربي والمسلم غارق في بحر الأفكار الخاطئة والتقليد الأعمى والانبهار المغلوط بالغرب، وتعد دراسة الهوية الثقافية لشباب الأمة أمراً بالغ الأهمية لما يشاهد من سلوكيات بعض الشباب الرافضة لثقافة المجتمع والمتمردة عليها، ومحاولة تقمص ثقافات أخرى لإشباع طموحات معينة، ومن ثم نجد بين الشباب من يتنكرون لهويتهم الثقافية ويتمردون على خصائصها،وقد يحتقرون عاداتهم وقيمهم وأصالتهم،فنجد من بين الشباب من يتشبث بالإفرنجية لهجة،ومن يشارك الفرنجة عاداتهم في الطعام والشراب والزي ونمط التفكير وأسلوب المعيشة بوجه عام، وقد اخذ هذا التقليد أشكالاً مختلفة كسراويل الشباب ذوات الخصر المنخفض الساقطة إلى أسفل الوسط وقصات الشعر والتسريحات العجيبة والتفنن القذر لقصات اللحية الشاذة والغريبة ودق الوشم وارتدائهم للإكسسوارات الغريبة والعجيبة والحركات النسائية خاصة عندما تجدهم في أروقة الشوارع والأرصفة يتمايلون ويرقصون رقصات عجيبة تدعو للاشمئزاز والحيرة إلى آخر ما هنالك من تلك الصرعات المشاهدة في الشوارع والحدائق والمراكز التجارية التي أصبحت واقعاً في مجتمعاتنا العربية والإسلامية وفي خضم ما تفرضه تلك التحديات العالمية بأبعادها المختلفة، وما تحدثه من الاقتحام المتعدد الوجوه لأنماط الحياة، لم يعد أمام مجتمعنا الذي يقف متفرجاً ومشدوهاً ولا يدري أين موقعه، فيصبح التساؤل: هل نترك

شبابنا يذوب وينصهر في تلك الثقافات الدخيلة؟ أو نتقوقع حول ثقافتنا المحلية ونعزل شبابنا عما يجري من حولهم ونتمسك بالماضي بما لا يقبل المسايرة؟ أم نفتح ثقافاتنا المحلية على الثقافة العالمية دون ذوبان لتأخذ منها ما وصلت إليه من تقدم وازدهار وترفض ما لا يتفق وإرثنا الثقافي أما الأسباب والدوافع فهي كثيرة ومتنوعة ومتشعبة، وربما من أهمها الفراغ الفكري والعاطفي بالإضافة للتشتت بين أصالة الماضي وحداثة المستقبل وعدم إمكانية الجمع بينهما في ظل غياب أو تغيب الدور الرائد لحضارتنا في واقع المجتمعات.

١/ ضعف الوازع الديني: فما أصاب شبابنا بسبب عدم تمسكهم بدينهم كما يجب وعدم فهم الكثيرين منهم لحقيقته وما ذلك إلا لإعراضهم عنه وعدم تفهمهم له وتقصير الكثير من العلماء والأهل في شرح مزاياه وإبراز محاسنه وحكمه وأسراره.

٢/ ضعف التربية والتوجيه الخاطئ للأجيال: التربية أساس النشء وموضع ترسيخ للمفاهيم السليمة ونقطة التحول هنا أن يتربى الشاب أو الفتاة على محاولة البحث عن الترفيه والحياة الأمتع بدون قيود واضحة وصارمة فلا غرابة بعد ذلك أن نرى الانجراف الكبير من قبل هذا الشاب نحو المعتقدات الخاطئة ،كلما تقدم به العمر وذلك باعتقاد ربما يكون جاداً منه بأنه يريد أن ينبسط بحياته بعيداً عن الالتزام الديني الذي ربط

وللأسف بصورة كاملة بالعادات والتقاليد البالية التي تنفر الجهال منه ، وبعض تلك العادات التي يتبعها شبابنا تندرج تحت الشرك بالله والعياذ بالله ٠

٣/ الإعلام: ومن أخطر وسائل الإعلام وأكثرها تأثيراً في الفرد هذا الفرد الالكتروني الذي أصبح أحد الأفراد المميزين فى العائلة الذي هو التلفاز فترك الأبناء يقضون الساعات الطوال في غسق الليل أمام التلفاز أسرى وعبيداً لا حول لهم ولا قوة ينصتون محلقين بأفكارهم وخيالهم لتلك الفضائيات غير الملتزمة التي تتخذ من الانحلال طريقاً للشباب في ظل الغياب الكامل والمعطل للأدوار التربوية المعهود عنها المسؤولية لهذا الجيل وقد استطاعت الافلام الغربية ومثيلتها من الافلام العربية في غالب الأحيان التسلل إلى عقول وعواطف ومشاعر أفراد المجتمع لاسيما جيل الشباب ، وقدمت النموذج الغربي على وجه الخصوص على أنه النموذج الوحيد للحياة الثقافية والاجتماعية الراقية ولعل أبرز الأدلة لمدى سطوة هذا التأثير ما تبثه القنوات الفضائية العربية من برامج وأفلام ومسلسلات مثل ستار أكاديمي ،الرئيس Big brothers وغيرها، التي تلقى رواجاً كبيراً لدى المتلقي العربي في حين أنها تبث الكثير من المفاهيم الخاطئة إلى المجتمع الإسلامي المحافظ كشرب الخمر وعقوق الوالدين والحرية الشخصية دون قيد ولا شرط ودون التفكير فى أصل ما يقومون بتقليده ٠

كذلك التقدم الراقي المتمثل في شبكة الإنترنت خاصة مع الهواتف المحمولة التي دخلت البيوت دون استئذان حيث أدخلت معها الفساد والانحلال الخلقي بأبشع صوره،فبينما كنا نخاف على الأبناء إذا خرجوا من البيت أصبحنا نخاف عليهم وهم في البيت بيننا، بل في غرف نومهم، فهذا الإنترنت وما أدراك ما الإنترنت؟ يحلق بهم إلى كل أصقاع الأرض من غير رقيب ولا وازع ديني أو أخلاقي يدلهم على الخير، أو يرشدهم إلى الفوائد العديدة من هذه التكنولوجيا التي قربت البعيد ونوعت وعددت وطورت مصادر البحث وآفاق المعرفة.

٤/ انبهار الشباب بالغرب: انبهر الشباب بالحضارة الغربية بسبب التفوق الغربي بالعلوم والصناعة والتكنولوجيا ،فيخلط شبابنا بين القيم الغربية والتكنولوجيا الغربية ويظنون أن الغرب متفوقون علينا في كل شي حتى القيم والتقاليد والعادات لكن الحقيقة الغرب متقدم تكنولوجيا فقط ومتأخر في جوانب أخرى روحية وأخلاقية واجتماعية.

٥ / الإحساس بالنقص وضعف الشخصية: يقول الدكتور طلعت عفيفي عميد كلية الدعوة بجامعة الأزهر: التقليد سبب خلل شخصية المسلم والشعور بالنقص والصغر والضعف والانهزام ثم البعد والعزوف عن منهج الله وشرعه كما أنه مع الأيام يسبب حب وولاء للمقلدين وكم من شبابنا يقلد الغرب في كل شيء، صحيح لديهم جوانب أخرى مميزه لكن

المشكلة الكبيرة أن شبابنا العربي المسلم لا يقلدهم في الأشياء المفيدة مثل العلم والطب والفضاء وغيره بل تقليدهم الأعمى ينصب على الجوانب السلبية في الغرب فقط وهذه هي المصيبة التي يجدر بنا التنويه إليها ، فتجد شاب عربي يلبس ملابس غريبة ومضحكه أحياناً ويقول هذه موضة وهذه ملابس الفنان فلان الفلاني،وعندما تنصحهم يقولون لك نحن في القرن الحادي والعشرين ٠

أسباب ضعف هوية الأمة الإسلامية

إن المسار التاريخي أفرز فسحة في البناء الحضاري اسمها القابلية للاستعمار، وهذه الفسحة تعكس تنامي عوامل التفكك في الأبعاد الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية كما تعكس تراجعاً كبيراً في الانتماء العقائدي للشباب في تلك المساحة الاستعمارية التاريخية، فهنا إذن مساحة تسمح للبؤر الناشئة في عصر التفكك والضعف بالارتباط بمركز آخر للتلقي والتوجيه ونفس الشيء يحدث بالنسبة للوعي عندما يبدأ بالتواصل مع مرجعيات مغايرة وليس المهم أنها تابعة لمركز الاحتلال بقدر ما هي مبتعدة عن المركز الحضاري الأصلي وهو في قضيتنا هنا الحضارة الإسلامية، وبالتالي فإن الوعي سيبدأ فى التغير وستفقد المقولات الأصلية التي تكون الهوية هيمنتها عليه فيغدو القبول بمقولات الآخر شيئاً مألوفاً،وبسلوكيات الآخر وطريقة تفكيره وربما يتنامى ذلك

أيضاً للاعتقاد وهذا يعني إلغاء التجانس الاقتصادي، الاجتماعي، السياسي، الثقافي، الفكري، الاعتقادي ذلك الذي يعد أهم مظهر من مظاهر وحدة الحضارة وتحديد الهوية،لذا يمكن أن نعرف ذاك التجانس بأنه العناصر المشتركة التي تصلح كمقومات لبناء هوية مجتمع واحد للأمة، وعليه فإن مقابلة أي تعدد سيعني زوال ذلك التجانس الذي يفرز الحضارة ويبني الهوية، فكما أن قضية الهوية الشخصية يعد أزمة موجبة للعلاج فإنه لابد من النظر إليها من خلال أزمة أخرى أكثر إيجاباً للعلاج هي أزمة الهوية الاجتماعية التي تسبب الضياع الفردي والذوبان في الغير .

تاريخ أزمة الهوية :

عاشت الأمة الإسلامية معاناة لم يسبق لها مثيل, أضاعت ماتلقفته أوروبا وأقامت ركيزتها عليه فكانت النهضة العلمية والانطلاقة الهائلة للمجتمع الغربي،وبدأ الوهن يتطرق إلى الأمة الإسلامية من قبل نفسها ،وكأن عجلة الزمن في دورانها تنقل مركز الثقل إلى أوروبا التي كانت تغط في سبات عميق وغير أن الأمة الإسلامية عانت منذ القدم من هجمات ظالمة استهدفت وجودها وثقافتها، فلم يواجه دين من الأديان ولا عقيدة من العقائد مثل ما واجه الإسلام من تحديات، فقد واجه منذ فجر تاريخه تحديات عنيدة من مخالفيه،فواجه المشركين في مكة

واليهود في المدينة، ولما فُتحت الأمصار، وانتشر الإسلام فيها، واجهت الهوية الإسلامية والفكر الإسلامي أفكاراً إلحادية وفلسفات وثنية[1] وتعرضت في نهاية العصر الأموي إلى حملات من الزندقة والإلحاد والتشكيك فى عقيدة التوحيد، وخاض الناس فيما امتنع عنه الصحابة والمسلمون من قبل، ونشأ علم الكلام وأصبح الجدل غاية وهدفاً بعد أن كان وسيلة لبيان الحق والدفاع عنه، وفي العصر العباسي أصبحت الفلسفة اليونانية بدعة المثقفين وبرز عدد من الذين يمثلونها ويدعون إلى الاستعاضة بها عن الفكر الأصيل[2] لكن الإسلام ثبت أمام هذه التحديات وانتصر عليها، فقد كان المجتمع الإسلامي آنذاك يعي الإسلام وعياً كاملاً،ويدرك أخطار الأفكار والاتجاهات التي كان يطرحها الفلاسفة والزنادقة وما تحمله من شبهات، وفي جملتها تعمل على نقل الفكر من أصالة الفطرة ومنطق العقل الصحيح إلى الإلحاد والإباحية وكان للأئمة أمثال ابن حنبل وابن تيمية أثر كبير في إعادة الأمور إلى نصابها، عن طريق الاحتجاج بالقرآن الكريم والحديث النبوي أساساً للوصول إلى الحق ، وإعادة النقاء إلى الفكر الإسلامي الأصيل، الذي أعطى العرب

١-عز الدين التميمي، نظرات في الثقافة الإسلامية، ص٣١ ٢- انظر: الشيخ أحمد حسن – نقلاً عن د/ عبدالكريم عثمان ،الثقافة الإسلامية، خصائصها، تاريخها، مستقبلها – منشور علىwwwiuedusa/magazine/1/4doc

والمسلمين عموماً شخصية فكرية متميزة لم تكن لهم من قبل، حيث كانوا يفتقدون أهم ما يكون الأمة ويكمل شخصيتها ويشعرها بذاتها ويمنحها الثقة بنفسها ألا وهو الرسالة والعقيدة والفكر الموحد ولنا أن نتصور الحال التي كان من الممكن أن تكون عليها العلوم والمعارف من النماء لو أن المفكرين المسلمين حافظوا على أصالة التوجيه الإسلامي ولم ينحرفوا عن النهج الصحيح إلى الاستغراق في جدل ونقاش فلسفي كان نتيجة ضياع الطاقات الذهنية [1]لكن الفكر الإسلامي بعد ذلك بمراحل من أطواره التاريخية وجد نفسه في مواجهة أعظم تحد يشكل تهديداً للذات الإسلامية وهويتها الثقافية، تحد أشد ضراوة مما فعلته دسائس عبدالله بن سبأ التي مثلت بداية تأزم الهوية الإسلامية،في حين أن التحدي الأعظم للهوية يتمثل في الغزو الفكري المعاصر، الذي كان تبعة لأحداث عِدة، كالتنازلات التي قدمها السلاطين العثمانيون، للقناصل الأجنبية لتعيث في بلادهم وتستوطن وتؤثر،حتى أسقطت الخلافة الإسلامية، بالإضافة إلى قيام حملات استعمارية غربية حديثة موجهة إلى البلاد الإسلامية، يواكبها غزو فكري ومن أبرز عمليات هذا الغزو المركب ،حملة نابليون بمدفعه ومطبعته، والحملة التي نجح فيها القس دنلوب بقلب ميزان التعليم الإسلامي، وإقامته على أساس الفصل بين الدين والحياة، لتتخرج أجيال متغربة من المثقفين بينها وبين هويتها حواجز نفسية، وقد أكد على هذا أحد رواد التغريب وهو اللورد كرومر

في تصريح له يذكر فيه إن الشباب المسلم الذي دخل طاحونة التعليم الغربي، ومر بعملية الطحن يفقد إسلامه، وعلى الأقل أقوى عناصرها وأفضل أجزائها، بتجرده عن عقيدته الأساسية وهذا هو التحدي الخطير الذي تواجهه الهوية الإسلامية، كونه الأصل الذي ترتكز عليه جميع الأبنية وتتأثر به .

أزمة الهُويَّة : الاضطراب الذي يصيب الفرد فيما يختصّ بأدواره في الحياة ويصيبه الشكّ في قدرته أو رغبته طبقًا لتوقّعات الآخرين عنه ، كما يصبح غير متيقن من مستقبل شخصيته إذا لم يتيسّر له تحقيق ما يتوقّعه الآخرون منه فيصبح في أزمة.

أزمة الهوية الإسلامية

تنتمي أزمة الهوية الإسلامية المعاصرة للشباب المسلم لذلك النوع من الأزمات المزمنة الذي تتشعب أسبابه وتتفرع متعلقاته، فالنظرة لها يجب أن تكون نظرة شاملة متعمقة دارسة للواقع الفعلي لذلك الشباب المسلم وتيارات التأثير التي تؤثر فيه ومنابع المد التي تمده وتغذيه، فهي أزمة تجتمع فيها مسارات سياسية وعقائدية وفكرية ثقافية وتنموية واجتماعية تجتمع كلها لتشكل أزمة التكوين الثقافي والسلوكي والعقائدي والفكري لذلك الشباب المسلم الذي ينتشر في ربوع الأرض،

بعضه يعيش في موطنه والبعض الآخر خارج وطنه، والغريب الداعي للبحث أن كليهما يعاني من أزمة الهوية.

إن المسار التاريخي أفرز فسحة في البناء الحضاري اسمها القابلية للاحتلال،تعكس تنامي عوامل التفكك في الأبعاد الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية كما تعكس تراجعاً كبيراً في الانتماء العقائدي للشباب فهى مساحة تسمح للبؤر الناشئة في عصر التفكك والضعف بالارتباط بمركز آخر للتلقي والتوجيه ونفس الشيء يحدث بالنسبة للوعي عندما يبدأ فى التواصل مع مراجع مغايرة وليس المهم أنها تابعة لمركز الاحتلال بقدر ما هي بعيدة عن المركز الحضاري الأصلي وهو في قضيتنا هنا الحضارة الإسلامية،وبالتالي فالوعي سيبدأ بالتغير وستفقد المقولات الأصلية التي تكون الهوية هيمنتها عليه فيغدو القبول بمقولات الغير شيئاً مألوفاً،وبسلوكه وطريقة تفكيره وربما يتنامى ذلك أيضاً للاعتقاد.

المحتوى العربى على الإنترنت وأزمة الهوية

حين تجرب، غير مرة، البحث بالعربية في الإنترنت ولا تجد ما يشبع حاجتك، تعرف أن المحتوى العربي على الإنترنت يعاني نقصاً كبيراً لا تحتاج إلى جوجل أو غيرها لإخبارك أن نسبة ١% التي يمثلها المحتوى العربي من مجموع المحتوى على الإنترنت، نسبة ضئيلة جداً أنت تدرك

ذلك منذ زمن، كما تدرك أنه قد مرت سنوات منذ سمعت أول مرة أن المحتوى العربي على الإنترنت بالكاد يمثل تلك النسبة الهزيلة، ولا شيء تغير طيلة تلك السنوات فالكثير من الحبر سال حول الموضوع، وكثير من المؤتمرات انعقدت دون فائدة المأساة أنك لو تتبعت تفاصيل تلك المؤتمرات التي تتحدث عن أزمة المحتوى العربي، لوجدت كل المتحدثين فيها يتحدثون حول الموضوع بالانجليزية ولا شك، لو حاولت تبادل الحديث مع أحدهم، ولو في الشارع في موضوع عام، لما وجدته قادراً على تركيب جملة عربية خالصة لا تدخلها كلمات إنجليزية أو فرنسية بمناسبة أو دونها تلك هي المشكلة الحقيقية، إنها أزمة هوية وليست أساسا مشكلة محتوى.

الإنترنت فيما يخص المحتوى مجرد وسيط لا أكثر، مثله مثل الكتاب والتلفزيون إذا كان الإنتاج العربي للكتب لا يصل إلى ١١% من الإنتاج العالمي، فمن البديهي أن يكون الأمر مشابها على الإنترنت المشكلة الحقيقية ليست نقص المحتوى على الإنترنت، بل هي التخلف العربي عموماً ولا يمكن تجاهل أن نقص المحتوى العربي على الإنترنت أزمة تتطلب حلاً مستعجلاً، لكننا لن نستطع تطبيق أي حل ما لم نرتب أولوياتنا أولاً، ما لم نحل المشكلة الحقيقية.

أولا: مشكلة الهوية

ربما أغلبكم يعرف موقع Yamli الذي يتيح لمن لا يملك لوحة مفاتيح عربية تحويل الكلمات العربية المكتوبة بحروف إنجليزية إلى حروف عربية مؤخراً أعلن الموقع إحصائية لافتة جدا للنظر تقول الإحصائية أنه طيلة الأربع سنوات من عمر الموقع، تم استخدام الخدمة لكتابة مليارى كلمة نعم، ٢ مليار يبدو ظاهريا كأن هذا المشروع عمل عبقري لمساعدة من لا يملك لوحة مفاتيح عربية للكتابة بالعربية لا، الحقيقة أنه ككل الحلول العربية- مجرد حل ترقيعي لا غير، يؤزم الأزمة أكثر مما يحلها فلو نظرنا إلى قائمة الدول الأكثر استخداما لذلك الموقع سنجد: السعودية، تونس، مصر، لبنان، المغرب والأردن هل ترون المشكلة؟ هذه كلها دول عربية، رغم عدم وجود مشكلة في الحصول على لوحة مفاتيح عربية كل أنظمة التشغيل الرئيسية حالياً تأتي تلقائيا بدعم العربية، وسعر لوحة المفاتيح أرخص حتى من الفأرة فلماذا يصر الكثيرون على كتابة العربية بحروف غير عربية، ويتبجحون: سوري، لا نملك لوحة مفاتيح عربية فالقضية ليست لوحة مفاتيح عربية أو دعم النظام للعربية، إنها مسألة هوية وإحساس بالانتماء لو أردت العمل في أي دولة من العالم،في وظيفة غير الوظائف المهمشة، عليك أولا أن تتقن لغة ذلك البلد، إلا الدول العربية، فهي تستقبل كل من هب ودب، وتجبر الآخرين على أن يعملوا تحت إمرته بلغته هو .

كندا تحتاج إلى الكثير من أصحاب الكفاءات، لكنها لا توظف إلا من يتحدث الفرنسية أو الإنجليزية ألمانيا تحتاج أيضاً للكثير، لكنك لن تخط حدودها قبل إتقان الألمانية وفرنسا تدفع للجامعات المغربية لتدريس مناهج معينة وتمنح الطلاب منحاً كاملة للدراسة في فرنسا، لأنها تحتاج إلى أصحاب الكفاءات، لكنها قبل ذلك تزرع فيهم الثقافة الفرانكفونية لكن في الجانب الآخر، يستقبل المغرب الفرنسيين بأذرع مفتوحة لإدارة شركات مغربية بالفرنسية دول الخليج تحتاج للكثير من الكفاءات الموجودة أصلاً في الدول العربية، لكنها تتجاهلها وتأتي بكفاءات من بريطانيا وأمريكا وتمنحهم حق فرض الانجليزية كلغة وحيدة للتخاطب معهم، في أماكن العمل وفي الحياة العامة وتلك هي المشكلة الأكبر ولا يمكن إنكار أزمة نقص المحتوى العربي على الإنترنت، لكننا لن نحل تلك الأزمة بالمؤتمرات والمقالات، بل لا نحتاج أصلاً إلى حلها هي ستحل من تلقاء نفسها يوم نقدر فعلاً هويتنا العربية ويوم نحس بانتمائنا الحقيقي٠

لقد استفاد العالم العربي كثيراً من تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وتطبيقاتها في كل المجالات وتشير الدراسات الى أن عدد مستخدمي الانترنت في العالم العربي سيبلغ ١٩٧ مليون شخص عام 2017 أما دول الخليج فقد حققت تقدماً ملموساً في هذا المجال، حيث سيصل عدد مستخدمي الانترنت الى ٤٠ مليون شخص، بينما سيزيد تغلغل الانترنت الى ٦٧% خلال السنوات الثلاثة القادمة وتحتل الامارات العربية

المتحدة المركز ٤٢ في دليل اقتصاد المعرفة بنقاط تبلغ ٦٩٤ كذلك نشير الى أن خمس جامعات عربية أربع جامعات سعودية وأخرى مصرية دخلت في التصنيف الاكاديمي لقائمة شنغهاي ورغم المؤشرات السابقة الناتجة من مسح ودراسات البنك الدولي الاّ ان هناك تحفظات مؤداها أن ارتفاع معدلات انتشار تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات في مجتمع معين قد لا يؤدي مباشرة الى تحسين الفوائد الاقتصادية وذلك يعني ضرورة دراسة السياق الثقافي والاجتماعي للمجتمع الحاضن لهذه التكنولوجيا والتطورات الحادثة فيه ورغم التأثيرات الايجابية لتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات على التنمية لكن هناك تأثيرات سلبية قد تؤثر وتعيق الاستفادة من جانبها الايجابي، ويتمثل ذلد في المشاكل المرافقة لاستخدامها فمثلاً، في الجانب الاجتماعي أصبح الانسان يميل الى التواصل الالكتروني مع غيره بدلاً من العلاقات الاجتماعية المباشرة، كما تتيح منظومة تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات امكانية استخدامها في الغش والاحتيال وتنامي الفساد إذا استخدمت تطبيقاتها بشكل غير قانوني ولا ننسى الاباحية والسطو على حسابات الاشخاص والدخول غير القانوني على المواقع الالكترونية فذلك يدعو الدول إلى تطوير التشريعات القانونية المتعلقة بالجرائم الرقمية والرقابة المستمرة على سريان المعلومات للتأكد من إطارها القانوني والتعاون الدولي للتأكد من استخدامات الشبكة اللاكترونية في التطبيقات التي تخدم الانسان وتحافظ

على البيئة وتساهم في تنمية دائمة وأخيراً، مهما قيل عن التكنولوجيا وتأثيرها على الانسان والمجتمع يبقى الانسان هو صانع هذه التكنولوجيا لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو ما عبّر عنه انشتاين ذات يوم عندما قال أخاف اليوم الذي تتفوق فيه التكنولوجيا على النشاط الانساني، عندها سيصبح العالم لديه أجيال من الحمقى والحديث عن الهُوية في الواقع المعاصر، ليس مِن قبيل الترَف الفكري، بل أصبح منَ الأساسيات التي ينبغي أن يتوفر عليها جُهود واعية مثقَّفة مِنْ أبناء الأمة.

كيف هددت هويتنا؟

الهوية الإسلامية مستهدفة من يومها الأول، فمنذ بعثة النبي ص ومشركوا قريش والمنافقون في توافق تام لوأد هذه الدعوة، وإيقاف مدّها، وبتعاقب السنوات، وتبدل الدول؛ ازدادت الهجمة شراسة وقوة، وبلغت هذه الهجمة ذروتها في العصر الحديث، فلم يدخر أعدائنا جهداً في تفريغ هذا الدين عن محتواه لطمس الهوية الإسلامية والعربية، وقد سار هذا الأمر وفق منهج مرتب ومنظم نوجزه في النقاط الآتية:

١ـ إضعاف العقيدة، وزعزعة الإيمان.

٢ـ التآمر على اللغة العربية.

٣- تقسيم الدين إلى قشر ولُب.

٤- استلاب الهوية الإسلامية وتشتيتها.

٥- استقطاب المرأة المسلمة، والتغرير بها.

٦- إشغال المسلمين بالترفيه والشهوات.

٧- السيطرة العلمانية، والترويج لدعوى العولمة والتغريب.

٨- الاهتمام المبالغ فيه بإحياء الأساطير الوثنية والخرافات الشركية.

٩- طمس المعالم التاريخية، والحفريات التي تصحح تاريخ العقيدة.

١٠- النشاط التنصيري الذي يستغل الفقر والمرض.

١١- استغلال العامل الاقتصادي في تذويب الهوية.

١- الحرب النفسية المدعمة بالأساليب التعسفية. [1]

لغة الشباب وضياع الهوية:

بعض الشَّباب يُتْقن التحدُّث بلغات جديدة، والغريب أنَّها ليست لغة

١- الهوية أو الهاوية للدكتور محمد إسماعيل المقدم؛ ص: ٣١-٤٢

obeikandl.com

عربيَّة أو إنجليزيَّة أو هنديَّة، حتَّى إنَّها لا تتبع أيَّة دولة، بل هي قاموس شبابي خاصّ جدًّا من عيّنة: حطيت إيدي على البالف، ادعك في الفانوس دلوقتي، كبّر الجمجمة، وغيرها من عبارات يصْعب حصرُها، وتختلف من مجتمَع لآخر حسب لهجتِه وعاداته وتندرج الألفاظ السَّابقة وغيرها تحت ما يُعرَف بمصطلح الرَّوشنة الَّذي ارتبطْ ظُهوره وراج كثيرًا في أوْساط الشَّباب كأحَد سِمات مرحلة المراهقة، والمفهوم يُعنى بالشَّكل الخارجي ستايل للتصرّف من خلال سلوك أو هيئة أو كلمة، والغالب فيه أنَّه يكون تقليدًا أعمى لتقاليع مستوْردة وسلوكيَّات جنونيَّة، بحسب تأكيد عادل هندي الخبير في العلاقات الإنسانيَّة ويرجع السَّبب في انتِشار مثل هذه العبارات إلى ضعْف الوازع الدّيني، وتغْييب معنى الهدف والغاية، وكذلك الاغتِرار بكلّ ما هو غربي، والاعتِقاد بأنَّ الغرب هو المُنْقِذ، مع بطلان هذا الاعتِقاد فيما هو معلوم من إحصائيَّات المجتمع الغربي المؤكّدة لانحِداره أخلاقيًّا، إضافة إلى سوء التَّربية للأبناء والبنات ويُعَدّ غياب القدوة الصَّالحة النَّافعة من أسباب انتِشار ألفاظ الرَّوشنة، وكذلك الإعْلام له دَور أيضًا في تَمييع الشَّباب، من خِلال تَمثيل صورة البطل على أنَّه الشَّابّ الروش المعاكس للفتَيات النَّاطق بالكلِمات الخبيثة، والَّذي يتحدَّث لغة سفيهة، وكذلك دوْر الإعلام في تشْويه صورة الدِّين والتديُّن، وتفريغ عقول الشَّباب من القضايا المهمَّة في الحياة، كقضيَّة الغاية وقضايا الأمَّة بوجه عامّ.

وتحمل لُغة الشَّباب الجديدة إذا صحَّ هذا التَّعبير كثيرًا من التمرّد والعدوان ؛ لأنَّ المتحدّث بها يريد أن يقول كلامًا يَحتوي على رموز لا يفْهمُها الكبار، بحيثُ تحمل مدلولات غريبة بعض الشَّيء، فمثلاً كلمة ادعك في الفانوس دلوقتي تعني: اذهب من أمامي، وكلمة حطيت إيدي على البالف؛ يعني: أنَّني فهمت الموضوع، وذلك حسب تفسير الدّكتور محمَّد المهدي - أستاذ الطّبّ النَّفسي بجامعة الأزْهر للحالة النَّفسيَّة التي يعانيها مَن يتحدَّثون بهذه اللَّهجة ويعود السَّبب في انتِشار مثل هذه الألفاظ والكلِمات على لسان العديد من الشَّباب إلى بعض الأفلام والأعمال الفنّيَّة الَّتي شهدت تداوُلاً كبيرًا في العالم العربي، وأصبحت محلَّ اقتِباس وتقليد من المُشاهِد العربي، وكما يقول المهدي في برنامج مع الشباب على قناة الرَّحمة، منها على سبيل المثال لا الحصْر مسرحية مدرسة المشاغبين، وكذلك أفلام محمد سعد اللمبي، وعوكل، لافتًا إلى أنَّ الفضائيَّات العربيَّة نجحتْ لِلأسف في فرْض هذه الأعمال وغيرها كمادَّة شبه يوميَّة على أجندة المشاهد العربي بشكْلٍ عامّ، ومنه الشَّباب بشكْلٍ خاصّ، ما يفسّر إلى حدّ كبير انتِشار هذه اللُّغة على ألسِنة الشَّباب دون إدراك حقيقي لخطورتها.

يشاركه الرَّأي الدكتور هندي مؤكِّدًا أنَّ هذه المصطلحات يردّدها شباب فاقد الهويَّة الإسلاميَّة، ويعيش مرحلة من الضَّياع والفراغ على كافَّة المستويات، كما تهدف الروشنة إلى فقدان قيود الرّقابيَة مما يساعد على

الانفِلات الأخلاقي، وتعْليم الفوضى والتسيّب، إضافة إلى انتِشار السلبيَّة في المجتمع؛ ممَّا يعطّل تقدّم الأمّة.

ويمكن معالجة هذا النَّوع من أنواع تمرّد الشَّباب بعمل حملات إعلاميَّة هادفة، تبيّن فضل وأصالة اللّغة العربيَّة ومكانتها بين اللغات، إضافة إلى وقْف هذه العبارات في الأفلام والمسلْسلات والمسرحيَّات، وانتشال الشَّباب من دوَّامة الرَّوشنة الَّتي يعيشُها إلى ساحات المساجد والنَّدوات الثَّقافيَّة والعلميَّة، هذا بالإضافة إلى تعْزيز انتِماء الفرْد لدينه وعدم الانسياق وراء كلِمات غريبة تتردَّد في أرْوقة الكوفي شوب والمنتديات، وتردّدها أفلام هابطة وممَّا يُساعد في العلاج أيضًا: عوْدة دور التَّربية إلى دورها الحقيقي تربية الأبناء منذ الصِّغَر، تَربية الضمير، والرقابة الدَّاخليَّة، وتنمية الحاسبة النَّفسيَّة، وتفْعيل دور المدرسة والجامعة في تصْحيح مفهوم الشَّباب الحقيقي في الحياة، وكذلك تفقُّد الأصحاب والأصدِقاء الصحبة الصالحة، إضافة إلى تدريس القدوات الصَّالحة للشَّباب والفتيات كنماذج من الشَّباب النَّاجح من جيل الصَّحابة والتَّابعين والعصر الحالي، وكذلك دور الدُّعاة إلى الله في احتِواء الشَّباب بتغْيير لغة الخطاب وإعلان الحرْب على لغة الرَّوشنة، وحثّ الشَّباب على مقاطعتِها.

غياب وعي الأنا:

ثمَّة وسطٌ تنمو فيه هذه الهزيمة وتكبر، ويمكن أن نَصِف هذا الوسط، أو نحدِّد ملامحه في ملمحَين هامَّين عياب وعى الأنا ويقظة وعى الآخر وممَّا يُؤسَف له أنَّه غياب مركَّب على أكثر من صعيد، وفي أكثر من ٱتجاه، أمَّا الأصعدة فتبدأ من العامَّة، وتنتهي بالنخب والمثقفين ممَّن يوجِّهون الرأي العام، ويؤثِّرون فيه، والسياسيِّين وأصحاب القرار في مواقعهم المختلفة، كلُّ هؤلاء غائبون أو مغيَّبون عن قضية العربية، وهذه الأصعدة جميعًا تجعل من مسألة الغِياب سرطانًا يَستشري في جسد المؤسَّسات العلميَّة والتعليميَّة والإعلاميَّة، وبذلك تكتمل منظومة الغياب، التي تُعد أكبرَ تحدٍّ يواجه العربية اليوم، والتجليات واضحة: انزواء العربية في عقول النخب، بوصفها قضيةً حضاريَّة لها دورٌ هام في أيِّ مشروع للنهضة، وعدم حضورها على ألْسنتهم في إشارة واضحة إلى الإهمال، ثم النظرة الدونية للغة، سواء في مؤسَّسات البحث أو التعليم بمختلف مراحله، أو الإعلام بمختلف أشكالهَ فمؤسَّسات البحث لا تحفل اليوم بغير توصيل المعنى،ولا ترى في الخطأ والرَّكاكة والعُجمة ما يَشين، ومؤسَّسات التعليم تحاصر العربية في مادة من موادَّ عديدة، ومع كلِّ عام دراسي جديد يُختصر منها أو يُحذف، ومؤسَّسات الإعلام لا ترى في العربية إلاَّ تقعرًا لا داعي له، وهنا أيضًا تُحاصر اللُّغة لتصبحَ مجرَّد ألفاظ تُردَّد في سياق عمل فني للإضحاك والتهريج.

والحقُّ أنَّ ذلك كلَّه ليس سوى تعبير بأشكال مختلفة عن فقدان الهدف، وضياعه،وارتباك العقل واضطرابه، واهتزاز الثِّقة بالنفس، بل احتقارها، ولنا أن نتصوَّر إنسانًا يهزأ بنفسه وينتقص من عقله، وجماعة تجعل من هويتها مادة للضَّحِك والسُّخرية وإذا كان هذا غيابًا للوعي اللغوي، فإنَّه جزء من حالة الغياب الشاملة، الغياب الحضاريِّ والعلمي، والسياسي والثقافي، والاقتصادي.

وفي مقابل غياب وعي الأنا بخطر اللُّغة وأهميتها نجد أنَّ الآخر بعولمته التي يريد أن يفرضها، ومصالحه التي يسعى لتحقيقها متيقظٌ تمامًا؛ لذلك فإنَّه لا يألو جهدًا في محاربة العربية، هذه الهُويَّة التي تربط بين نحو أربعمائة مليون إنسان، والإسلام هذا الدِّين الذي يجمع ما يَزيد على مليار وخمسمائة مليون إنسان، وليس الوعي بخطر اللُّغة والدين مستورًا، يُستنبط أو يُستشف من الكلام أو الأفعال؛ لكنَّه صريح مباشر لا غموض فيه ولا لَبْس، كما أنَّه ليس وعيًا يظهر على ألْسنة المغمورين وأنصاف المثقَّفين والساسة،وفي أفعالهم ممَّن قد يجهلون دلالاتِ الألفاظ، إنَّه عند أولئك المنظرين الإستراتيجيين الذين ينتمون إلى مؤسَّسات أبحاث رفيعة المستوى تُعدُّ مراكز لدِّراسات المستقبل، وتحظى بدعم أصحاب القرار السياسي في أعلى مستوياته، وتُعتمد في اتخاذ القرارات وبناء السياسات،ونكتفي بواحد فقط من هؤلاء صمويل هنتنجتون صاحب الكتاب الذائع صراع الحضارات، الذي يؤكِّد أنَّ اللُّغة والدين هما

العنصران المركزيان لأيِّ ثقافة أو حضارة، في إشارة واضحة إلى أنَّ الساحة الأخطر للصدام هي ساحة اللُّغة والدِّين، فإذا ما تحقَّق الانتصار فيهما أصبح من السَّهل الهيمنة على الحضارة المعادية واستتباعها.

وبين غياب وعي الأنا ويقظة الآخر، تبدو الهُويَّة العربية الإسلامية، وفي القلْب منها اللُّغة مكشوفة، غير قادرة على المواجهة، ويصبح خطرُ الزوال أو الانحسار أو التشويه واردًا، فعن طريق هذه الهُويَّة، وهذه اللُّغة ، سيحدُث الاختراق اختراقُ العقل العربي الإسلامي والعبث في خلاياه بما تَعنيه من خصوصية وقِيَم، وتاريخ وحضارة، فهل ننتظر حتى يحدُثَ ذلك؟ أم سنقف بالمرصاد، خاصَّة أنَّ العابثين يلحُّون في طَرْق الأبواب، ويسلكون مختلف الطُّرق منذ أكثر من قرن؟!

خطر الغزو الإعلامي والثقافي على المجتمع العربي

تعتبر مسألة الغزو الثقافي والإعلامي من أولى المسائل التي واجهت وتواجه الأمة الإسلامية والوطن العربي تحديداً فقد وعت الدول الغربية العظمى خطر يهدد قوتها واستمرار سيطرتها على العالم، وهذا ما لا يروق لها ويقض مضاجعها فبدأت بوضع كافة إمكانياتها للوقوف في وجه هذا التهديد وتنبهت للطرق الأسهل والأسرع فتوجهت للفكر العربي من خلال إعلام صنعته لتغريب هذا الفكر وجعله أسيرا لما يراه ويشاهده فلا شك أن الإعلام بكل أنواعه وتقنياته أحرز نجاحاً باهراً في جميع

المجالات وهو من أقوى وسائل الإقناع في أتباع الأسلوب الهادئ والرزين دون اللجوء إلى العنف؛ لكنه في نفس الوقت أنفذ إلى القلوب من السهام وأشد وقعاً ، إذ له ظاهر أنيق ومنظر جذاب إضافة إلى مجموعات الإثارة الكاملة إلى ما لا نهاية، من التصوير والإضاءة وما شابه؛ فلا بد من تأثيره الفعال ونفاذه إلى الأعماق بصورة سريعة ومباشرة ، والغرب من حيث طول الباع لديه في هذا المجال واهتمامه التام في تطويره قطع شوطاً مهماً في سبيل ذلك؛ولكن هل نصدق كل ما يقوله الإعلام الغربي عن الإسلام والمسلمين وأنه من نتائج صدام الحضارات الذي يدعو إليه ساسة الغرب ومفكروه، والحملات الإعلامية المتعاقبة التي لا يكاد ينجو منها بلد مسلم ليست إلا وجهاً من وجوه حرب الإساءة والتشويه التي اعتمدتها سلاحاً ماضياً في صراعها إن له قوة هائلة التأثير تغطي القارات الخمس بلا منازع لتزرع في أذهان الشعوب ما تشاء من الصور، لا تبالي ما تتناوله من أحداث العالم بالعرض والتحليل إلا ما تراه يخدم مصالحها وينجح في إيصال ما تريد وترغب وقد لعبت ثورة الاتصالات دوراً كبيراً في نجاح هذا الإعلام وجعلت منه قوة تفوق قوة السلاح فبعد أن كان توزيع الصحيفة لا يتجاوز البلد الذي تصدر به جاءت وسائل الاتصال الحديثة لتلغي حدود الدول وتوصل المعلومة للقارئ أينما كان، فشعوب العالم لا تعرف في معظم الأحوال عن الإسلام وقضاياه إلا من خلال ما تتلقاه من الإعلام

الغربي مع كثير من التحريف والتضليل والإساءة ، وحذرت دراسة علمية من ظاهرة الغزو الإعلامي الأجنبي في وسائل الإعلام العربية، وبالذات البرامج المعربة من البرامج العالمية، وأظهرت الدراسة الغزو الإعلامي والانحراف الاجتماعي وأظهرت أن وسائل الإعلام العربية شاركت في تعميق الغزو الإعلامي الأجنبي، من خلال ما تعرضه من البرامج الغربية،وبالأخص ما يسمى ببرامج تلفزيون الواقع دون أن تضع تلك الفضائيات فى الحسبان قيم المجتمع العربي وتقاليده وأنماطه الاجتماعية فمنذ متى تعرض الفضائيات العربية برنامج تقوم فكرته على عرض فتيات للزواج ومرافقة الكاميرا لهن حتى في غرف النوم وهذا ما تقوم عليه فكرة برنامج على الهوا سوا الذي بثته إحدى القنوات الفضائية ولاحظت من خلال الإحصائيات العلمية الجديدة،أن برامج القنوات الفضائية العربية تقتصر على المادة الترفيهية وأفلام الجريمة والعنف والرعب والجنس، أي أن ثقافة الصورة تطغى عليها أكثر من ظاهرة سلبية تتمثل فى الاغتراب، القلق، إثارة الغريزة، الفردية، العدوانية، دافع الانحراف، وكلها مفردات تتأسس في إدراك الشباب وسلوكهم ومعارفهم بحيث تتحول من مجرد صورة ذهنية إلى نشاط عملي عن طريق المحاكاة والتقليد وعمليات التطبيع الاجتماعي بالإضافة إلي أن الأطفال والمراهقين والشباب يتأثرون بنتائج هذه الثقافة الإعلامية، ومن المحتمل أن تخلق برامج الفضائيات العربية الاضطراب

الاجتماعي، وعدم الاستقرار في العلاقات العامة الاجتماعية، وتنمية الفردية والروح الاستهلاكيّة، والهروب من التصدي لواقع الحياة، والاستسلام له، والانبهار بالنموذج الأجنبي على حساب الهوية الثقافية، وكذلك تراجع الانتماء للهوية وازدياد اليأس والإحباط ووجدت الدراسة أن القنوات الفضائية العربية،وبالذات الخاصة، بدأت تتسابق علي إرضاء الجمهور العربي، خاصة الشباب، وجذبها لهم بأي صورة من خلال المواد الترفيهية التي تتعارض مع التنشئة الاجتماعية العربية ومقوماتها، خاصة في إشاعة النماذج الغربية من البرامج المستنسخة التي تحفل بأنواع فنون الإثارة الجسدية والغريزية وبمواصفات قد لا نجدها حتى في القنوات الفضائية الأجنبية فمثلاً أصبحنا نرى على الفضائيات الأغنية المصورة أو ما يسمى بالفيديو كليب وما يرافقها من مشاهد خليعة، ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل أصبحنا نلمس في مجتمعاتنا العربية التقليد الأعمى لهذا المضمون الهابط فمثلاً أصبحت الفتاة تقوم بحركات المغنية فلانة أو تختار ملابس شبيهة بملابس الفنانة فلانة وكأنهن اتخذن تلك الفنانات قدوة لهن في كل شيء وأشارت الدراسة إلى ضرورة الانتباه إلي هذه الظاهرة لأنها قد تحمل توجهات سياسية وفكرية ملغومة تريد تدمير الواقع العربي وثقافة المجتمع وقيمه وخرجت بعدد من التوصيات أبرزها ضرورة الاعتراف بأن انفجار المعلومات والمنجزات التقنية في زمن العولمة لا يلغي حقيقة أن الثورة

الحضارية ينبغي استيعابها وتقبلها بوعي حضاري واستيعاب ذكي، بما يجعلنا قادرين علي الاستفادة منها، بمعنى اقتناء المفيد من المعلومات والبرامج وأخذ ما يتناسب مع واقعنا العربي وأهمية تعميق وعي الشباب العربي وثقافته وممارسته للديمقراطية وتعوده على التعامل الحضاري مع المعلومة بايجا بياتها وسلبياتها، إضافة إلي أهمية وضع خطة إعلامية من قبل الدول العربية تأخذ مسارين:

- الأول :خطة إعلامية لمواجهة الغزو الإعلامي والثقافي.

- الثاني :خطة إعلامية لتحصين الشباب.

بمعنى أن مواجهة الغزو لابد أن تستند على خطة تتعلق بالطرق والوسائل الكفيلة للتقليل من طوفان المادة الإعلامية الأجنبية في التلفزيون العربي، ومحاولة منع ظاهرة البرامج الواقعية التي لا ترتبط بقيم المجتمع وثقافته، وتطوير وسائل الإعلام الوطني ومضامينه، كذلك تأتي مسألة الغزو الثقافي للمجتمع الإسلامي من أولى المسائل التي أخذت حيز كبير لدى الباحثين نتيجة الأثر الواضح الذي خلفه هذا الغزو في البلاد العربية والإسلامية الذي قامت على نشره وترويجه مؤسسات ومنظمات ومراكز متعددة منها الصهيونية والتبشير والاحتلال والأيديولوجيات المعادية للإسلام كالديمقراطية الليبرالية والشيوعية والقومية والفلسفات الهدامة فنتيجة الصحوة الإسلامية المعاصرة

تفاقمت نزعة العداء نحو الإسلام من قبل أعدائه، وبالتالي ازدادت جهودهم لتوسيع المفاهيم الخاطئه عن الإسلام في أذهان الغربيين من جهة، وتصعيد عمليات الغزو الثقافي للعرب من جهة أخرى ٠

والمؤسف أن بعض المفكرين يرفضون مصطلح الغزو الثقافي أو الفكري لأن الغزو مصطلح عسكري، ويطالبون بأن نتحدث عن استيراد فكري أو إيديولوجي بمعنى التفاعل مع الغرب، لهذا فإن الحديث عن الغزو الفكري في رأيهم يعني الانغلاق على الهوية، وهو ما يجب أن يتحاشاه المسلمون، ولكي نوضح أن ما يحدث هو غزو وليس تبادلاً فكرياً نورد بعض أشكال وأساليب هذا الغزو حيث نجد أن أهم ما يلجأ إليه الغرب في حربه ضد المسلمين والإسلام هو عرضه الخبيث للفارق بين واقع المسلم وواقع المواطن الغربي من جميع النواحي، فهم يصورون الغربي فى حالة من الرفاهية والنعيم يصعب على المسلم أن يصل إليها، وفي حالة من الحرية والرخاء وحرية القول والعمل، بينما المسلم مكبوت مضطهد لا يستطيع أن يتصرف أو يتكلم بحرية وبعد أن يرسخ أعداء الإسلام هذه المفاهيم في الأذهان وكأنها أمر واقع لا سبيل إلى تغييره يمضون في بث الشعارات والمفاهيم المغرضة، ولنعترف أن هذه المفاهيم المغلوطة قد تكونت لدى كثير من الأجيال المعاصرة واستطاعت أن تحدد للدين دوره بمعزل عن الحياة وفي زاوية ضيقة يلخصها شعار فصل الدين عن الدولة أو تلغي دوره من الحياة أساساً،

فهو لا يرتبط بالواقع من خلال المعاني التي تصنع القوة والحركة والتقدم، بل ينظر إليه باعتباره سبب الضعف والجمود والتأخر كما تدل على ذلك شعارات كاذبة مثل الدين أفيون الشعوب والدين ضد العلم ويمكن أن نعدد أيضاً من أساليب الغزو الثقافي المحاولات التالية:

١. توظيف السينما والتليفزيون، فثمة مئات من الأفلام السينمائية الغربية التي تحاول تشويه صورة العرب والمسلمين، ويومياً تبث القناوت الفضائية عشرات المسلسلات التلفزيونية التي تكرس فكرة تخلفهم.

٢. توظيف الكثير من الكتاب والمؤلفين ليكتبوا ما يشوّه صورة الإسلام بأسلوب خبيث ذكي وليتسرب بذلك السم إلى عقولنا .

٣. تشجيع الخلافات المذهبية بين المسلمين وتعميقها ثم إبرازها عبر القنوات الإعلامية على أنها تمثل الإسلام.

ويشير د محمد عبد العليم مرسي إلي مفهوم الغزو الثقافي وأثره على المجتمعات العربية واصفاً إياه بأنه أحد أشكال الاحتلال الجديد ويسميه الصليبية الجديدة التي تعمل على تنصير العالم ومحاولة فرض التغريب على بعض الأقطار عبر النخب الحاكمة والمثقفين المنبهرين بحضارة الغرب ويشير الكاتب إلى أن بعض الدول العربية تأخذ ماهو سطحي وخالي من المضمون من المادة الإعلامية الغربية وتقدمه للمتلقي العربي رغم تعارضه مع مبادئ الدين الإسلامي؛ وقد وصل الغزو الثقافي

إلى حد إهمال اللغة العربية في الكليات العملية وبالتحديد الطب والصيدلة والهندسة، حيث يجرى التدريس فيها باللغة الإنجليزية ٠

مقارناً ذلك بموقف اليابان التي رفضت بإصرار شديد، أي تعديل في لغتها من جانب الأمريكيين عند توقيع معاهدة السلام عام ١٩٥٠م، ونلاحظ في بعض الدول العربية مسألة شيوع اللهجة العامية في بعض القنوات الفضائية والإذاعات منها إذاعة الجنوب اللبنانية التي تلقي معظم برامجها باللهجة العامية لكن الحقيقة ماهي إلا محاولة من إسرائيل التي كانت تسيطر على هذه الإذاعة لتشويه اللغة العربية وإفراغها من محتواها وشيوع العامية وقد وجدت إسرائيل ضالتها في تحقيق ذلك من خلال بعض المفكرين والشعراء اللبنانيين أمثال الشاعر سعيد عقل الذي دعا إلى التخلص من قيود الفصحى ونشر العامية على أساس أنها لهجة قريبة من المتلقي وأسهل للفهم، إلا أنه أمر بعيد كل البعد عن الحقيقة فالمشاهد أو المستمع الذي يفهم لهجة بلده مثلا ليس بالضرورة يستطيع فهم اللهجات الأخرى وبالتالي تكون الفصحى أكثر فهماً لجميع الأقطار العربية ٠

وللغزو الثقافي جوانب تشمل تقلص حجم العلوم الشرعية ومقررات الهوية الإسلامية في المدارس والجامعات العربية والتوسع في إقامة المدارس الأجنبية في بلاد المسلمين، وهنا تأتي أهمية الثقافة في أنها

تعمل على تماسك البناء الاجتماعي داخل المجتمع، وتحقيق الطمئنينة للفرد وإشباع حاجته للأمن، وتحفظ للمجتمع تراثه القديم، وما نراه من غزو ثقافي أمريكي تجاه المنطقة في صور التعاون المشترك في مجال البحث العلمي والبحوث المشتركة الذي بدأ يتزايد مع بداية القرن العشرين٠

obeikandl.com